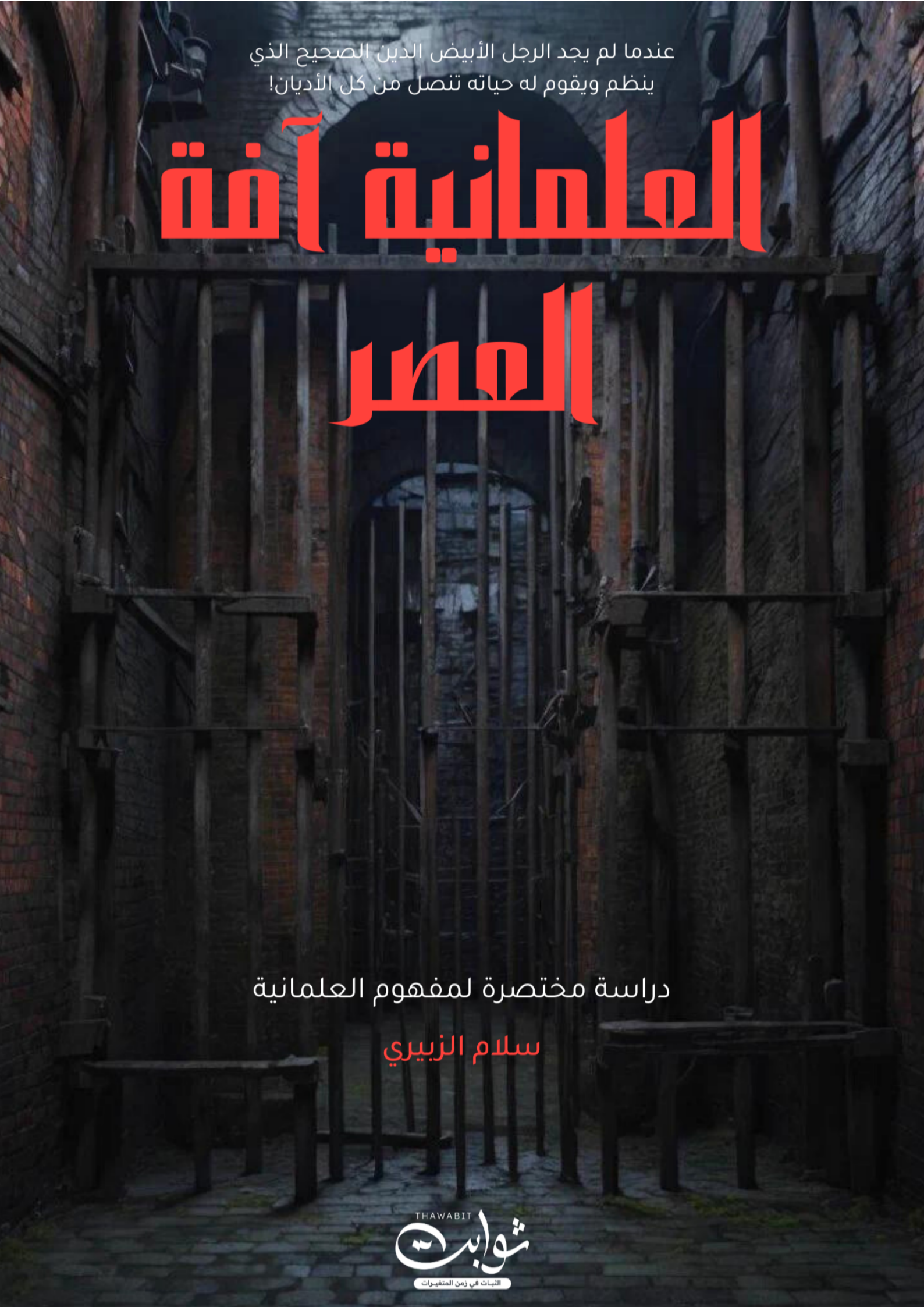
عندما لم يجد الرجل الأبيض الدين الصحيح الذي
ينظم ويقوم له حياته تنصل من كل الأديان!
العلمانية آفة العصر
دراسة مختصرة لمفهوم العلمانية
سلام الزبيري
THAWABIT
ثوابت
الثبات في زمن المتغيرات

- **إعداد:**

منصة ثوابت

- **للتواصل على تلجرام:**

@CONTthawabitbot

- **كتابة:**

سلام الزبيري

- **مراجعة:**

علي الأزرق

- **المقدمة:**

الحمد لله والصلاة والسلام على نبيه المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

كما لا يخفى على عاقل كون العلمانية أحد أبرز آفات العصر الحديث المصادمة لقطعيات الشريعة وثوابت الدين، والتي وإن قل خطرها في العقد الأخير نظرًا للجهود المباركة التي قام بها العلماء والمفكرين المسلمين في نقد مفهوم العلمانية وأصولها، إلا أنّي أردت أن أقدم هذه الورقة رغبة في إضافة ما يمكن أن يضاف إلى الموضوع وعلى سبيل الإيجاز.

هذا البحث المختصر والمكون من بضع عشر صفحة مقسم على ثلاث محاور:

المحور الأول: ناقشت فيه مفهوم العلمانية واللائكية ونسبية هذه المفاهيم.

المحور الثاني: ناقشت فيه أسباب نشوء العلمانية في أوروبا وتصديرها إلى المشرق الإسلامي.

المحور الثالث: تحدثت فيه عن ورطة العلمانيون العرب ومحاولة اسلمة العلمانية وعرضت بعض الخطابات التي تأتي في سياق إبراز العلمانية، وانتهيت بالحديث عن "إرهاب الكتابة الغربية".

سائلًا المولى عز وجل أن يكون خالصًا لوجهه الكريم.

أبو عمر
١٤ رمضان ١٤٤٥

- **مفهوم العلمانية:**

مفهوم العلمانية مشتق من الكلمة اللاتينية (Saeculum)، والتي تعنى (عالم) أو (كون)، أول من استعمل مصطلح علمانية (Secularism) بمفهومها المعاصر هو المفكر الإنجليزي جورج هوليوك[1] وذلك في عام 1851م عندما أوردها في مقال له نشر على مجلة The Reasoner .

ويختلف مفهوم العلمانية باختلاف الدول التي تتبناه فالعلمانية الفرنسية (اللائكية)[2] تختلف عن العلمانية البريطانية والتي بدورها تختلف عن العلمانية الهندية والعلمانية الأمريكية، ولكن يمكن تعريفها بشكل مجمل بأنها مصطلح معاصر ظهر ليعبر عن مفهوم (فصل السلطة التشريعية عن السلطة الدينية)، وهذا التعريف غير دقيق إلا أنه يرسم حدود واضحة لماهية العلمانية.

- **تعريف هوليوك للعلمانية:**

يعتبر التعريف الذي أورده هوليوك في كتابة English Secularis من أوائل ما ذكر في السياق المعاصر لمفهوم العلمانية.

حيث يقول: (العلمانية هي قانون واجبات مرتبط بهذا العالم مؤسس على اعتبارات إنسانية بَحْتَةٍ، وهي مُوجَّهَةٌ أَساسًا إلى من يعتقدون تقصير اللاهوت أو عَجْزَهُ، وأنه غير جدير بالثقة أو غير جدير بالتصديق)[3]

[1] كاتب إنجليزي ولد في برمنغهام، اول من صاغ مفهوم العلمانية بمفهومها الحالي.
[2] سيتم الحديث عنها لاحقا.
[3] ذكر ذلك في كتابه English Secularismص ٣٥

وقد لخص الدكتور سامي عامري[4] مفهوم العلمانية بقوله: (مَبْدَأ يقوم على إِنْكَارِ مَرْجِعِيَّةِ الدِّيْنِ أو سُلْطانِهِ في تنظيم شُؤُونِ النَّاسِ، بعضها أو كلها، انْطِلاقًا مِنْ مَرْجِعِيَّةِ الإِنْسَانِ لإدراك الحقيقة والمنْفَعَةِ الكامنتين في هذا العالم).[5]

- **اللائكية:**

اللائكية (العلمانية الفرنسية) أو(laicite) بالإنجليزية أو (Laïcité) بالفرنسية هو مصطلح اشتق من اللغة الإغريقية القديمة (λαός) ويعني (الشعب) أو (الناس)، تطور المصطلح لاحقًا وذلك في العهد الروماني[6] ليصبح بمعنى (عامة الشعب الغير متدين) واستمر تعريف اللائكية بهذا المفهوم حتى قيام الثورة الفرنسية (1789-1799) حيث أصبح يطلق للدلالة على مفهوم (فصل الدولة عن السلطة الدينية) ولكن بصورة اكثر تطرفًا من المفهوم العلماني التقليدي (secularism) ، ويمكن رؤية ذلك من حالة العداء الفرنسي الشديد للأديان[7] والتي تفوق نظيراتها من الدول العلمانية كبريطانيا على سبيل المثال، حيث اصدرت وزارة التعليم الفرنسية بتاريخ 28 مارس 1882م قرار في اطار قانون التعليم ينص: (يجب أَلَّا تَذْكُرَ للطفل البالغ من العمر سبع سنوات شيئًا عن الله ، لِيَشْعُرَ هذا الطفل من تلقاء نفسه، على امتداد الساعات الست التي يتلقاها يوميًا، أن الله غير موجود أصلًا، أو أننا في أحسن الأحوال لم نعد بحاجة إليه).

[4] مفكر تونسي حاصل على دكتوراه في مقارنة الأديان. مؤلف ومحاضر وباحث في الأديان المقارنة والمذاهب المعاصرة. والمشرف العلمي على مبادرة البحث العلمي لمقارنة الأديان وأحد مؤسسيها.

[5] د. سامي عامري: العلمانية طاعون العصر

[6] نشأ المصطلح في عهد اليونان ثم تطو لاحقا في عهد الدولة الرومانية (والتي كانت تستعمل اللغة اللاتينية كلغة رسمية)

[7] كقيام دولة فرنسا في عام 2004م بمنع ارتداء اي رمز ديني في المدارس ومنها حظر ارتداء المسلمات للحجاب، وفي ابريل عام 2011م منع رئيس فرنسا ساركوزي النقاب.

وأحد أبرز تعريفات مصطلح اللائكية ما ذكرته الباحثة الأمريكية كارولاين فورد وهي بروفسور التاريخ في جامعة كاليفورنيا حيث قالت: (مصطلح اللائكية ظهر أولا في عام 1842م ليصف المذهب الذي يميل لإعطاء المؤسسات صبغة لا دينية)

- **نسبية المفاهيم البشرية.. العلمانية:**

وقد خضع المفهوم للتغييرات كسائر المفاهيم البشرية والتي لا تصل إلى مفهومها النهائي الا بعد سلسلة من التدرجات، فالتيارات البشرية يعتريها ما يعتري واضعها (البشر) من النقص والخطأ فتحتاج إلى سنين وربما عقود كي تستقر على صورتها النهائية والتي وإن تناسبت مع طبيعة المجتمعات الواضعة لها (ظاهرياً) فإنها ما تلبث ان تصبح مع مرور الزمن وتغير الأجيال ونمط تفكيرها تيارات سقيمة لا تتناسب مع الواقع الجديد.

- **جدار من زجاج:**

تُعرِّف العلمانية نفسها (كجدار) يقف امام السلطة الدينية ويفصلها عن الحياة الواقعية، **واصفةً نفسها بالمخلص من قمع الأديان**، ويمكن اعتبارها النتيجة الحتمية لحالة القمع التي كانت تمارسها الكنسية الكاثوليكية في أوروبا على كل محاولة نهضوية تسعى لكسر حالة الجمود المعرفي وذلك في الفترة المعروفة في أوروبا ب "القرون الوسطى"، وهذا المشهد المشحون أدى في النهاية إلى ثورة شاملة على الكنسية والبابا تمخض عن الأمر سقوط الملكيات والنظام الاقطاعي في أوروبا وصعود الفكر الجمهوري في القرن التاسع عشر الميلادي.

- **نشوء العلمانية في أوروبا وربطه بالشرق:**

"عندما لم يجد الرجل الأبيض الدين الصحيح الذي ينظم ويقوم له حياته تنصل من كل الأديان!"

أن حالة النجاح النسبي (ظاهريًا على الأقل) للنظام العلماني في البيئة الغربية كان لسبب يغيب عن أغلب دعاة العلمنة في الشرق والغرب وهو حالة الفساد الديني الذي عاشته أوروبا والذي أوجب على الأوروبيين التخلص من سلطة الكنسية او استبدالها بغيرها إن أرادوا النهوض وبالتالي فأن القول بأن تطبيق النظام العلماني في بيئة أخرى سيؤدي الى النتيجة ذاتها هو "مغالطة تحليلية" وقع فيها مجموعة من المفكرين العرب، فالعلة كانت في فساد الدين النصراني، بعكس النظام السياسي في البلدان الإسلامية والتي تجعل من مرجعية الوحي الرباني (القرآن والسنة) أساسًا ومحتكمًا لتنظيم الدولة والحياة، فكان شعارها **"الخالق أدرى بمصلحة من خلق"**.

- **تصدير العلمانية إلى الشرق:**

كان للحملة الفرنسية على مصر في أواخر القرن الثامن عشر دورًا أساسيًا في تسرب جملة من المفاهيم الغربية إلى المشرق، حيث أدت حالة الصدمة الحضارية إلى خلق صورة طوباوية[8] عن الغرب وتأثرًا عميقًا بالثقافة الغالبة، وقد استغل المستعمر حالة الانهزام هذه لتمرير ما يريد بسهولة، مستغلًا بذلك النصارى العرب (خصوصا البروتستانت) والذين تلقوا دراستهم في المدارس والجامعات الغربية لتمرير مفهوم العلمانية

[8] تصور فكري مثالي خيالي (غير واقعي) بمجتمع لا توجد فيه شرور ولا أمراض ولا جهل.

إلى المشرق، وبهذا الصدد يقول الكاتب العلماني حسن حنفي: (قام العلمانيون في بلادنا منذ شبلي شميل، ويعقوب صروف وفرح أنطون، ونقولا حداد، وسلامة موسى وولي الدين يكن، ولويس عوض وغيرهم يدعون إلى العلمانية بهذا المعنى الغربي، فصل الدين عن الدولة، والدين لله والوطن للجميع، والملاحظ أنهم كلهم كانوا من النصارى، وغالبيتهم من بلاد الشام، الذين كان ولاؤهم الحضاري للغرب، ولا ينتسبون إلى الإسلام دينا أو حضارة وتربوا في المدارس الأجنبية وفي إرساليات التبشير).[9]

- **ورطة العلمانيون العرب:**

أدت الحملة الشرسة التي شنها الشيوخ وطلاب العلم على العلمانية باعتبارها نظام سياسي كفري يعارض قطعيات الشريعة وثوابت الدين إلى حالة من النفور المجتمعي من المصطلح ومفهومه، ما جعل العلمانيون العرب أمام ورطة كبيرة حول كيفية تمرير العلمانية إلى الأنظمة العربية، أدى هذا إلى ظهور تيارين رئيسيين. الأول: يدعو إلى أسلمة العلمانية وذلك بإعطاء بعض التنازلات -والتي قد لا تعجب منظرو العلمانية في أوروبا- ومحاولة إبرازها في ثوب إسلامي. أما التيار الثاني: فدعا إلى نبذ العلمانية معللًا ذلك باختلاف التجارب التاريخية للحضارتين الإسلامية والغربية وهذا التيار ينكر العلمانية كمصطلح ولكنه يروج لها بمصطلحات أخرى ومن أبرز رواد هذا التيار المفكر المغربي محمد عابد الجابري حيث قال في كتابه: (في نقد الحاجة إلى الإصلاح) أن (مسألة العلمانية في العالم العربي مسألة مزيَّفة. وفي رأيي أنه يجب استبعاد

[9] حسن حنفي، كتاب حوار المشرق والمغرب، 35-366

شعار العلمانية من قاموس الفكر العربي، وتعويضه بشعاريْ الديمقراطية والعقلانية.)[10]

- **أسلمة العلمانية في ميزان الشريعة:**

إن استحلال ما حرمه الشارع بصورة مطابقة لما يقوم به العلمانيون العرب ودعاة التغريب من محاولة أسلمة العلمانية وذلك بجعلها نظام يعتمد على إعادة قراءة التراث الديني ثم بعد ذلك السعي للتحاكم إلى ذلك النتاج الكفري معتبرين ذلك السبيل الوحيد لمواكبة الحياة المعاصرة وأنه شرط النهضة الوحيد فإن هذا مما يناقض قطعيات الشريعة وأوامر الاحتكام لله وحده، والآيات المحذرة من ذلك كثيرة في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)[11] وقوله تعالى: (وَمَن لَم يَحكُم بِما أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمونَ)[12] وقوله تعالى: (وَمَن لَم يَحكُم بِما أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الفاسِقونَ)[13] وقوله تعالى: (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً).[14]

وقد حذر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من تسويغ فعل المحرمات القطعية و استحلالها فقال في مجموع الفتاوى: (والإنسان متى حلَّل الحرام المجمع عليه، أو حرَّم الحلال المجمع عليه، أو بدلَّ الشرع المجمع عليه، كان كافرًا ومرتدًّا باتفاق الفقهاء، وفي مثل هذا نزل قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ

[10] محمد الجابري: في نقد الحاجة إلى الإصلاح
[11] سورة المائدة: ٤٤
[12] سورة المائدة: ٤٥
[13] سورة المائدة: ٤٧
[14] سورة النساء: ٦٥

لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 44]؛ أي: هو المستحِلُّ للحكم بغير ما أنزل الله)[15]

وقال في موضع آخر: (وبيان هذا أن من فعل المحارم مستحلاً لها، فهو كافر بالاتفاق، فإنه ما آمن بالقرآن من استحلَّ محارمَه، وكذلك لو استحلَّها من غير فعل، والاستحلال: اعتقاد أن الله لم يحرمها، وتارة بعدم اعتقاد أن الله حرمها، وهذا يكون لخلل في الإيمان بالربوبية، ولخلل في الإيمان بالرسالة، ويكون جحدًا محضًا غير مبني على مقدمة، وتارة يعلمُ أن الله حرَّمها، ويعلم أن الرسول إنما حرم ما حرَّمه الله، ثم يمتنع عن التزام التحريم ويعاند المحرِّم، فهذا أشد كفرًا ممن قبله، وقد يكون هذا مع علمه أن من لم يلتزم هذا التحريم عاقبه الله وعذَّبه، ثم إن هذا الامتناع والإباء إما لخلل في اعتقاد حكمة الآمر وقدرته، فيعود هذا إلى عدم التصديق بصفة من صفاته، وقد يكون مع العلم بجميع ما يصدق به تمرُّدًا أو اتباعًا لغرض النفس، وحقيقته كفر هذا؛ لأنه يعترف لله ورسوله بكل ما أخبر به، ويصدق بكل ما يصدق به المؤمنون، لكنه يكره ذلك ويُبغِضه ويسخَطُه؛ لعدم موافقته لمراده ومشتهاه، ويقول: أنا لا أقرُّ بذلك ولا ألتزمه، وأُبغِض هذا الحق وأنفِرُ عنه، فهذا نوع غير النوع الأول، وتكفير هذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام)[16]

ويقول ابن تيمية في سياق تفسير آيات الكفر بالطاغوت: (ذم المدعين الإيمان بالكتب كلها، وهم يتركون التحاكم إلى الكتاب والسُّنَّةِ ويتحاكمون إلى بعض الطواغيت المعظمة من دون الله، كما يصيب ذلك كثيرًا ممن يدعي الإسلام ويَنْتَحِلُه في تحاكمهم إلى مقالات الصابئة الفلاسفة أو غيرهم، أو إلى سياسة بعض الملوك الخارجين عن شريعة الإسلام من ملوك الترك وغيرهم. وإذا قيل لهم تعالوا إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله

[15] ابن تيمية: مجموع فتاوى ابن تيمية: 3 / 367.
[16] ابن تيمية: الصارم المسلول لابن تيمية: 521 - 522.

أَعْرضُوا عن ذلك إعراضًا، وإذا أصابتهم مصيبة في عقولهم ودينهم ودنياهم بالشبهات والشهوات، أو في نفوسهم وأموالهم عقوبة على نفاقهم، قالوا إنّما أردنا أن نُحْسِنَ بتحقيق العلم بالذوق ونُوفِّق بين الدلائل الشرعية والقواطع العقلية التي هي في الحقيقة ظنون وشبهات)[17]

وقد جعل ابن القيم الجوزية رحمه الله كمال الانقياد لحكم النبي ﷺ شرطًا لإتباعه والرضا برسالته فقال: (وأما الرضا بنبيِّه رسولاً: فيتضمن كمال الانقياد له، والتسليم المطلق إليه، بحيث يكون أولى به من نفسه، فلا يتلقَّى الهدى إلا من مواقع كلماته، ولا يحاكم إلا إليه، ولا يحكم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره البتة، لا في شيء من أسماء الرب وصفاته وأفعاله، ولا في شيء من أذواق حقائق الإيمان ومقاماته، ولا في شيء من أحكامه ظاهره باطنه، لا يرضى في ذلك بحكم غيره، ولا يرضى إلا بحكمه)[18]

- **خطابات العلمانيون العرب:**

عندما يقرأ المسلم النصوص الشرعية التي تأمره بالاحتكام لشريعة الخالق وتحذره من الانسياق لما سواها واعتبار ذلك الانسياق من نواقض الإسلام البيّنة ثم بعد ذلك يقارنها بخطابات دعاة العلمنة والتغريب والتي ملئوا بها صفحات الجرائد والمجلات وصدعوا بها في البرامج التلفزيونية ومواقع التواصل الاجتماعي فإنه سينكشف للمرء حجم الهوة بين الخطاب الشرعي وخطاب هؤلاء، ونذكر لكم جملة من تلك العبارات[19] مع تعليق يبين ما فيها من مغالطات:

---

[17] ابن تيمية مجموع الفتاوي تحقيق أنور الباز وعامر الجزار، مصر، دار الوفاء، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ط٣، ١٢/ ٣٣٩ - ٣٤٠

[18] ابن القيم: مدارج السالكين 2 / 172.

[19] هذه العبارات جمعها الشيخ عبد الله العجيري والشيخ فهد العجلان في كتاب (زخرف القول)

(العلمانية هي الحل):

البشر مفطورون بطبيعتهم على النفور من الطغيان والاستبداد، وهم بذلك مجبولين على معاني الحرية والعدل ولكن محاولة اختزال المعاني الرنانة والجذابة في مفهوم معين هو تسطيح للعقل البشري وأبعد ما يكون عن الفكر المستنير، فالحل لا يكون بمجرد إعطاء التبشيرات وانما بالمشاهدات الواقعية، سيقول قائل: ماذا عن التجربة الغربية ألا تعد مثال ناجح عن العلمانية؟، والجواب على ذلك ماذا عن كون العلمانية هي السبب الرئيسي في قتل وتهجير الملايين في العراق وأفغانستان وجنوب افريقيا...الخ؟! فتحييد المرجعية الدينية بما تتضمنه من معاني الحساب الأخروي كان سببًا مباشرة في تغذية الإمبريالية الغربية الدنيوية كما أنها السبب الرئيسي في الانهيار الأخلاقي الحاصل في الغرب حيث أدى عزل الدين عن الحياة إلى غياب المرجعية الثابتة التي تضبط الأخلاقيات، وهذا الامر جعل الأخلاق في حالة من الزئبقية والنسبية تتغير بتغير رأي الأغلبية، فلو بررت تلك الأغلبية مثلًا قتل الأبناء لأصبح خُلقًا حميدا!

هذا الحل الذي تقدمه العلمانية، والتي وإن أظهرت شيئًا من التفوق المادي (ليس لذاتها) إلا أنها أدت في الوقت نفسه إلى انهيار المنظومة الأخلاقية والإنسانية لدى معتنقيها. ولذلك يقول جورج بارنا[20]: (إن عالم ما بعد الحداثة هو كَوْنٌ بلا مَرْكَزٍ، لا توجد سلطة نهائية فوق الذات؛ ولذلك تَحْكُمُ الفَوْضَوِيَّةُ الأخلاقية اليوم)[21]

وهل الحل يكون بالابتعاد عن تشريع الخالق الأعلم بمصلحة من خلق؟!

[20] عالم اجتماع أمريكي

[21] George Barna, Real Teens (Ventura, Calif.: Regal Books, 2001), 94.

(العلمانية حل لفهم أفضل للدين):

هذه العبارة تبرز العلمانية كمنهج غير عدائي للأديان وأنها الوسيلة المثلى للوصول إلى الفهم الصحيح للدين بعيدًا عن ضغوط الأنظمة الدينية والمذاهب العقدية، وهذه الرؤية العقيمة والتي ينكشف بطلانها لصغار المسلمين قبل كبارهم ليست إلا مناقضة لجوهر العلمانية وفلسفته القائمة على فصل الدين عن الدولة بل وفصل الدين عن الحياة، فكيف يمكن له أن يكون وسيلة لفهم الدين، وهو يعارض مصادر التشريع والتي لا يشك مسلم في كونها كذلك وهذه المصادر هي كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ، قال الإمام اللالكائي عن ذلك: (فإن أوجب ما على المرء معرفة اعتقاد الدين، وما كلف الله عباده من فهم توحيده وصفاته، وتصديق رسله بالدلائل واليقين، والتوصل إلى طرقها، والاستدلال عليها بالحجج والبراهين، وكان من أعظم مقول، وأوضح حجة ومعقول، كتاب الله الحق المبين، ثم قول رسول الله ﷺ وصحابته الأخيار والمتقين)[22]

(العلمانية حل للخلافات العقدية والدينية):

يأتي إيراد هذه الجملة في سياق الحديث عن الخلافات بين الفرق والتيارات الدينية المتناحرة وبأن تلك الخلافات والنزاعات لن تؤدي إلى استقرار المجتمعات حيث تسعى كل فرقة لفرض رأيها العقدي والفقهي على الآخر، فيزعموا بأن ذلك سيكون عائقًا أمام قيام نظام يدير شؤون الحياة، وهذا الأمر قد يبدو صحيحا في الوهلة الأولى ولكن ما يغيب عن تصور هؤلاء أن الدول على مدار التاريخ لا يستتب لها الحكم بموافقة ورضا الجماهير لكامل افكارها ومعتقداتها بل يقوم بنيان الدول بفرض

[22] اللالكائي: اصول السنة

ما تتبناه من معتقدات على الجميع، والدول العلمانية حالها كحال تلك الدول والتي جعلت من القوة وسيلة للوصول إلى الحكم[23].

فزَعم دعاة العلمنة العرب بأن الدول العلمانية مجتمعات طوباوية هو من قبيل **غربنة الغرب** (إضفاء الهالة والمثالية على المجتمع الغربي، وإسقاط الغرب المتخيل على الغرب العلني الموجود في الواقع) [24].

والأمة الإسلامية تعيش حالة من الانقسام الطائفي منذ القرن الأول ولكن هذا الأمر لم يمنع من قيام دول فرضت قوانينها وأنظمتها على شعوبها، وصلت بحدود سلطانها من جبال الصين شرقًا إلى بحر الظلمات غربًا.

فالقول بأن العلمانية هي الحل لنبذ الخلافات العقدية والمذهبية وأنها شرط للنهوض بالأمة من كبوتها هو من قبيل المغالطة ودعوة هؤلاء إلى تطليق التراث أو إعادة قراءته بما يتناسب مع الواقع -حسب زعمهم- هي مغالطة أكبر من سابقتها..

فكيف لجسد أن يقوم وقد سُلب منه الروح!

[23] العلمانية في أوروبا كانت مخاض فترة طويلة من الصراع والثورات.
[24] إبراهيم السكران: مألات الخطاب المدني - بتصرف يسير- (ص 116 - 117)

- **فتنة الغرابة.. الخطاب العلماني:**

مما شاع في أوساط الشباب ميلهم إلى قراءة الاطروحات والكتابات المليئة بالمفردات الغريبة ذات الأسلوب المعقد، وهذا لظنهم ان ذلك إنما ينم عن عبقرية الكاتب وعمق تفكيره، هذه الحالة وصفها الشيخ إبراهيم السكران -فك الله أسره- قائلًا:

(كثير من الشباب المنبهر بأطروحات دعاة المدنية المادية إذا دخلت معه في حوار حول أعماق قناعاته اكتشفت أنه مأخوذ بلغة الخطاب وغموضه المبهر أكثر من حقائقه وبرهنته، وسلطة الغموض على شريحة من القراء هي في الحقيقة ظاهرة معرفية قديمة لا يمكن إنكارها ولذلك؛ تجد بعض الكتاب يميل إلى التحذلق والتقعر في الكتابة وعدم القصد إلى المعاني مباشرة، حيث يشعر أن طرح الفكرة في قالب مباشر يبدد وهجها، وأن وضع الفكرة في طرق ملتوية يبهر القارئ ويجعله يذعن للنتيجة)[25].

ولم يفت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذه الظاهرة فقال:

(ولكن هؤلاء عمدوا إلى ألفاظ مجملة مشتبهة تحتمل في لغات الأمم معان متعددة، وصاروا يدخلون فيها من المعاني ما ليس هو المفهوم منها في لغات الأمم، ثم ركبوها وألفوها تأليفا طويلا بنوا بعضه على بعض، وعظموا قولهم وهولوه في نفوس من لم يفهمه، ولا ريب أن فيه دقة وغموضًا لما فيه من الألفاظ المشتركة والمعاني المشتبهة، فإذا دخل معهم الطالب وخاطبوه بما تنفر عنه فطرته، فأخذ يعترض عليهم، قالوا له أنت لا تفهم هذا، وهذا لا يصلح لك، فيبقى ما في النفوس من الأنفة والحمية يحملها على أن تسلم تلك الأمور قبل تحقيقها عنده، وعلى ترك الاعتراض عليها خشية أن ينسبوه إلى نقص العلم والعقل)[26].

---

[25] ابراهيم السكران: مألات الخطاب المدني ص 240

[26] ابن تيمية درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم: (١/٢٩٥)

وهذا الأسلوب الخطابي يكثر ظهوره عند دعاة الحداثة والعلمنة من كتاب ومنظرين وهي أحد وسائلهم في خداع الشباب وقد ذكر الفيلسوف الاسكتلندي جون ما كوري[27] في هذا السياق أي ربط الغموض بالعمق مقولة تلخص هذه الظاهرة حيث قال: (التفكير الوجودي يحيط به خطر دائم من أن يتحول إلى فكر غير منظم، يحل فيه الانفعال والاقتناع الشخصي محل البرهان، وينظر فيه إلى الغموض على أنه عمق)[28].

[27] فيلسوف وكاهن أنجليكن من أصل أسكتلندي

[28] ما كوري: الوجودية، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام دار عالم المعرفة، (١٩٨٢م)، (ص ١٦١)

- **المصادر:**

- مألات الخطاب المدني – الشيخ إبراهيم السكران
- العلمانية طاعون العصر – د. سامي عامري
- زخرف القول – الشيخ عبد الله العجيري، الشيخ فهد العجلان
- مجموع الفتاوى – شيخ الإسلام ابن تيمية
- درء تعارض العقل والنقل – شيخ الإسلام ابن تيمية
- الصارم المسلول – شيخ الإسلام ابن تيمية
- مدارج السالكين - ابن القيم الجوزية
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة – الإمام اللالكائي
- اللائكية والعلمانية – د. سعيد جودة
- إسلام ويب
- حوار المشرق والمغرب – حسن حنفي
- في نقد الحاجة إلى الاصلاح – محمد الجابري
- English Secularism: A Confession of Belief - George Jacob Holyoake
- Real Teens - George Barna